جغرافية

1

الفيضانات العليا

المطر الأول يمسح من أثر الدمع على الشباك عيوننا
وهموم البحر تسافر وتلهو
جارحة نكهة مسك الليل بأجنحة بيضاء، وأنت
يا بحر الأشياء الموسومة بالشوق. تعال
وخبرني مثل المطر الأول
مثل عصافير البحر
عن الجبهات الأكثر فتكاً بالأعصاب تعال
يا بحراً يستوطنه محبوبي
ويهاجر في لحمي
ويصاحبني ليلاً
هل أنت نصيب من صدفات الزمن الداعر
يكفيك إذن أن تشربني في الجلسات السرية شايا
أو تملأ بالشوق أنابيبي الخزفية
يا بحر الأشياء المنذورة للفيضانات العليا

عبد الله راجع
تخطيط
عبد الوهاب البوري

هُنا عَيْني إنْ كُنْتِ تُريدينَ شَفَةً مَا مَصَّتْهَا شَفَتانِ
وَهُنا عَيْني الأُخْرى إنْ كُنْتِ تُريدينَ جَسَدًا
يَفِرُّ حَوْلَ مَغالِقِهِ تِرْسًا مِنْ عُمْقِ الكِبْريتِ وَهَيْبَتِهِ
إلى جَسَدِ المَغْبُونِ !
يَا بَحْرًا فِي خُطْوَتِهِ نَحْوِي أُوسِعُ مَا بَيْنَ جِراحِي خَليجًا
سَأُغَنِّي لَكَ مِنْ أَجْلِ حُضُورِ الزَّنْبَقِ آياتٍ
أَوَّلُها النَّصْرُ
وَالنَّصْرُ آخِرُها
وَسَأُخَبِّئُ نَحْوَكَ جِسْمِي مَأْخُوذًا بِحَساسِيَةِ النَّهْرِ
إِزاءَكَ
مُنْبَهِرًا بِالفِتْنَةِ مِثْلَ إِناثٍ لَمْ تَمْسَسْهُنَّ يَدٌ
وَكَطِفْلٍ غَرِيبٍ يَبْلُغُ المِيناءَ
سَأُمْضِي بَعْدَكَ عُيُونًا تَسَعُ الصَّحْراءَ
وَيَا الضِّيقَ مِنْ جَسَدِي إِذْ يَسْكُنُهُ الشَّوْقُ تَمَهَّلْ
قَافِيَةً

هَذَا حُلُمٌ لَمْ تَتَعَلَّمْهُ قَصِيدَةٌ
حُلُمٌ بَعْضُ هِوَايَتِهِ أَنْ يَزُورَنِي لَيْلاً
وَنَهَاراً يَقْطِفُنِي
حُلُمٌ كَمَسَاءَاتِ الوَطَنِ لَذِيذٌ وَمُخِيفٌ
حُلُمٌ وَسَأَحْلُمُهُ مِنْ أَجْلِكَ حَتَّى تَبْزُغَ مِنْ مَغْرِبِهَا الشَّمْسُ
تَمَهَّلْ
يَا حَاضِرُ مَنْ فِي حَضْرَتِهِ يَشْتَدُّ صَهِيلِي
هَذَا حُلُمٌ يَتَعَيَّنُ فِي أَقْصَايَ
وَأَحْلُمُهُ مُنْتَهِياً بِمُشَاهَدَةِ الكِبْرِيتِ
وَهَذَا الإِنْشَاءُ أَجَّلَ هِجْرَتَهُ نَحْوَكَ سِتَّةَ أَعْوَامٍ
نُعَلِّقُهُ فِي حِينِ أُتِمُّ الإِنْشَاءَ الأَكْثَرَ قُرْباً مِنْ عُمْقِ
الكِبْرِيتِ
سَأَحْلُمُهُ مَعَكِ اللَّيْلَةَ حِينَ نُسَافِرُ
أَوْ نَعْدُو صَوْبَ أَمَاكِنَ أَكْثَرَ وَحْشِيَّةً فِي العِشْقِ
يَا بَحْرَ كِتَابَاتٍ تَتَنَزَّلُ فَوْقَ خَرَائِطِ جِسْمِي

هَذَا إِنْشَادٌ مَأْخُوذٌ بِنُبُوءَتِهِ
فَلْتَتَقَدَّمْ
وَلْتَتَقَدَّمْ فِي جَسَدِي مِثْلَ خَبِيرٍ يُحْسِنُ جَسَّ التُّرْبَةِ
وَلْتُعَرِّينِي بِالانْقِطَاعِ مِنْ إِحْسَاسِ سَاقِ سَلاَطِينِ العُشَّاقْ

2
أَنْتِ البَحْرُ، وَأَنْتِ كِتَابَتُهُ حِينَ عَلَى الرَّمْلِ يَمُرُّ خُطَالُ
وَأَنْتِ طَرِيقِي عَبْرَ المُرْتَفَعَاتِ الوَحْشِيَّةِ
صَوْتُ نَهَارٍ تُصْبِحُ فِيهِ حُرُوفُ اسْمِكِ نَارِي
أَنْتِ المَجْزَرَةُ الآنَ عَذْبٌ مِنْ نَكْهَةِ مِسْكِ اللَّيْلِ
وَأَنْتِ العَرَبَاتُ المَأْخُوذَةُ بِالفَتْكِ انْحَدَرَتْ
صَوْتُ أَقَالِيمِي حَامِلَةً رَائِحَةَ الغُبَّاجِ انْهَمَرَتْ
تَرْشُقُنِي بِلُغَاتٍ لاَ أُتْقِنُهَا
يَا زُرْقَةَ النَّهْرِ خُذِينِي، أَنَا مُشْتَاقٌ
لُمِّينِي أَنَا غُصْنٌ يَبْحَثُ عَنْ غُصْنِ

وَبِما تَفْصِلُني عَنْ جَسَدي هذا المَفْتونْ يَتَعالى الصَّخْرْ
خُذيني اعْتَصِريني حَتّى يَتَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ شُقوقي نَهْرُ
الشَّوْقِ

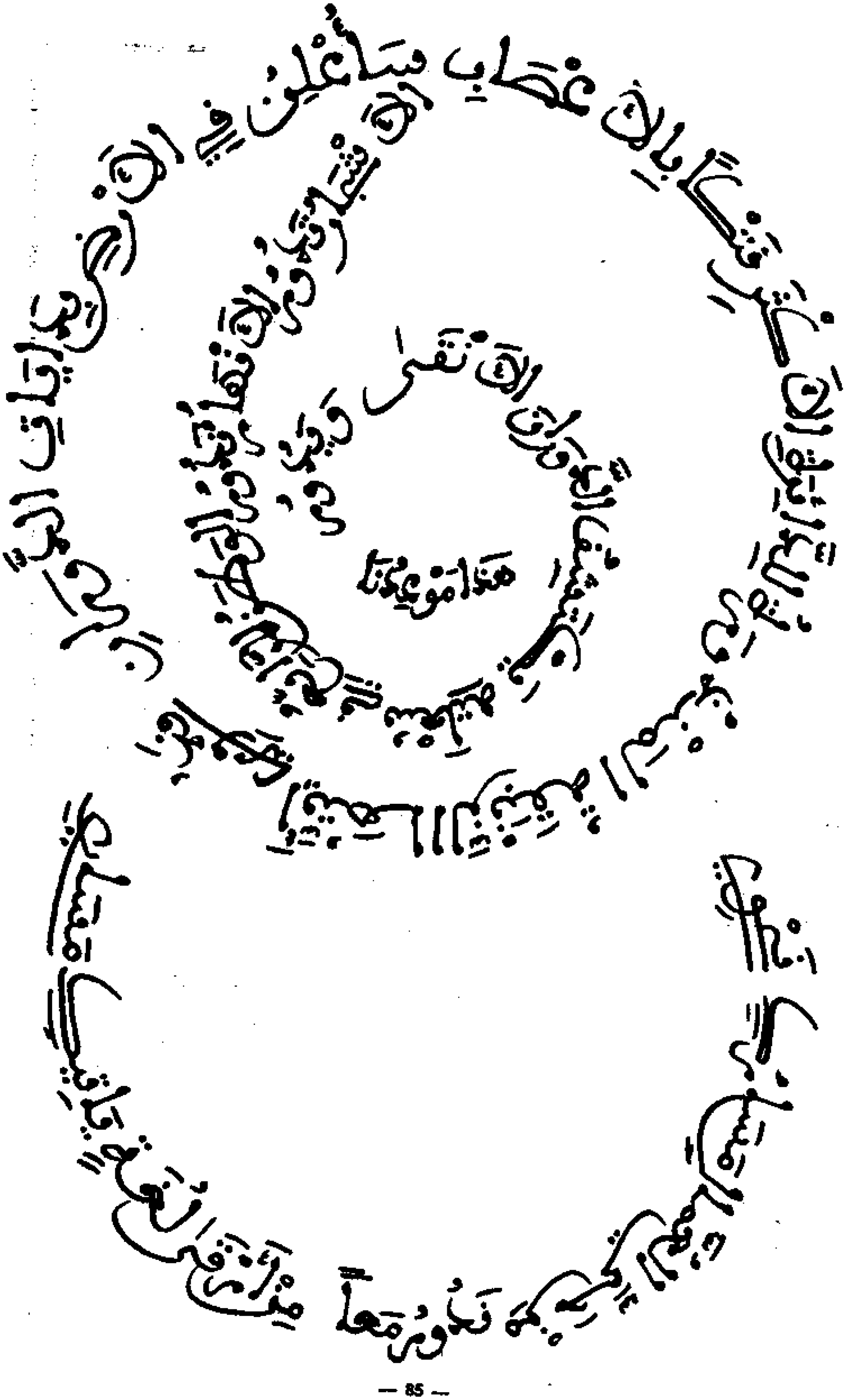
وبأن غضاب فسأعلن في الأرض
إلى تقى
هذا موعدنا
تدور معا

إِنِّي آخُذُكِ الآنَ فَلَا يَأْخُذُنِي فِيكِ سِوَايَ
وَأَشْرَبُ مِنْ عَيْنَيْكِ نُعَاسَ الشُّطْآنِ، فَتَرْكَبُنِي
حَالَاتٌ أَشْبَهُ بِالصَّحْوِ
أَنَا الكِبْرِيتُ البَاحِثُ عَمَّنْ يَقْرَعُهُ، كَمْ سَيَكُونُ
جَمِيلًا
أَنْ أَسْتَنْشِقَ فِي القَيْظِ رِمَالِي
وَلَأَنْتِ البَحْرُ، وَأَنْتِ خُطُوطُ الهُدْنَةِ فِي جَبَهَاتِي
أَرْتَاحُ عَلَى كَتِفَيْكِ دَقَائِقَ ثُمَّ أُعَاوِدُ فِي الأَرْضِ
جِهَادِي
أَرْتَاحُ إِلَى الأَوْزَانِ الأَنْقَى
حَوْلَ الوَطَنِ المُشْبَعِ فِيكِ بِعُمْقِ الكِبْرِيتِ
(سَأَبْدَأُ لَحْظَةَ يُصْبِحُ إِيقَاعُ النَّبْضِ قَرِيبًا فِي الحِدَّةِ
مِنْ إِيقَاعِ الوَطَنِ الرَّائِعِ فِي شُعْلَتِهِ)
أَنْتِ بِدَايَاتُ النَّبْضِ
بِدَايَاتُ الأَوْزَانِ الأَكْبَرِ حَوْلَ العَصْرِ المَوْسُومِ بِرَائِحَةِ

الآنَ سَمَّيْتِ
بِدَايَاتُ الْمَوْتِ عَلَى جَسَدِ نُبُوءَاتِي
تَتَرَجَّلُ فِي حَضْرَةِ بَحْرٍ لَا يَعْرِفُ لِلصَّمْتِ مَذَاقَا
تَتَرَجَّلُ عَارِيَةَ الْأَقْدَامِ
كَأُنْثَى تَحْتَرِقُ لِلْبَحْرِ الْمَزْهُوِّ بِشَارِبِهِ، أَنْتِ

3
هَكَذَا أَنْتِ أَجْمَلُ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي لَمْ يَقُلْهَا الزَّنْبَقَةِ
شَاعِرُ
سَأَقُولُ لَكِ الْآنَ مَا قُلْتُهُ لِلْمَسَاءِ الَّذِي يَشْرَبُ الشَّايَ
مُتَّخِذًا مِنْ جَبِينِكِ مُتَّكَأً
هَا انْتَظَرْتُكِ حَتَّى تَقَافَزَ مِنِّي الطَّبَاشِيرُ، كُنْتِ الطَّرِيقَ إِلَى وَطَنٍ
لَيْسَ يَنْكَسِرُ عَلَى شَفَةٍ أَوْ يَتُوبُ، وَكَانَ الْوَطَنْ

حُلُمًا يَتَوَفَّرُ فِي رِئَتِي مِنْ أَجْلِ المَعَامِلِ كَانَ الوَطَنْ
رَائِعًا فِي احْتِرَاقٍ مَشْلَا غَلِهِ مِثْلَ سَيِّدَةٍ تُغْسِلُ الصَّبِيَّ
قُلْتُ انْتَظِرْنِي
عَلَى قِمَّةٍ مِنْ هُمُومِ الأَحِبَّةِ بِلَا وَطَنٍ، وَاحْتَرَفْتُكِ
أَعْرِفُ أَنَّكِ أَوْسَعُ بَابٍ يَقُودُ إِلَى المَجْزَرَةْ
وَاحْتَرَفْتُكِ، كَانَ عَلَيَّ إِذَنْ، أَنْ أَكُونَ جَدِيرًا
بِهَذَا المُسَمَّى وَطَنْ.

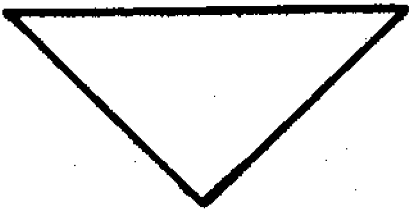

هَكَذَا تَسْتَقِيمُ الأُمُورُ
وَأَنَا أُمْنِكِ نَعْلِيهِ
أَقُولُ: البَنَايَاتُ تَمْشِي عَلَى رَأْسِهَا
يَضْحَكُ الأَصْدِقَاءُ
وَفِي القَيْظِ، يَشْحُبُ لَوْنُ انْتِظَارِي

تَأَنَّيْ قَلِيلًا، لِهَذَا الكَلَامِ تَتِمَّةٌ
فَلَا تَلُمْ بَرِيءٌ هُوَ البَحْرُ فِيكِ
يَدٌ لَا تُقَدِّمُ لِلعَاشِقِينَ مُهُورًا
أَكَانَتْ تُرَاوِدُنِي لَوْ تَخَلَّفَ عَنِّيَ الوَهَنْ
لَكِ اللَّيْلُ، فَانْزَلِقِي فِيهِ مِثْلَ اشْتِهَاءٍ عَمِيقٍ، لَكِ البَحْرُ
دُسِّي جَبِينَكِ فِي صَدْرِهِ، مِثْلَ قَوْقَعَةٍ أَنْكَرَتْهَا الظُّنُونُ
يَمِينًا، إِذَا فَتَحَ البَحْرُ أَبْوَابَهُ، وَامْتَطَى صَهْوَةَ المَنْزِلَهْ
نَهَارُكِ، هَذَا المُسَيَّجُ بِالقَيْظِ، لَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فِيهِ عَلَى مِشْتَلِهْ
نَهَارُكِ لَوْ جِئْتِنِي، مِثْلَمَا النَّجَاءُ
عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ عُيُونِ الكِلَابِ اسْتَضَفْتُ
يَنَابِيعَ عَلْنَا، وَسَقَيْتُ الصَّعَالِيكَ
مَاذَا إِذَنْ بَعْدَ أَنْ جِئْتِنِي عَلَنًا فَاخْتَرَقْتُ
تَأَنَّيْ قَلِيلًا، لِهَذَا الحَدِيثِ بَقِيَّةْ

مُثْبَتٌ فِي حَوَاشِي الطَّرِيقِ اسْمُكِ، العَابِرُونَ اسْتَرَاحُوا
إِلَى فَيْئِهِ لَحْظَةً
قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا لِلطَّرِيقِ النِّعَالَ اسْتَرَاحُوا وَلَمْ يَقْرَأُوا
لِيَتَعَمَّقُوا لُغَةً فِي حَوَاشِي الطَّرِيقِ تُحِيلُ الكَلَامَ
صَهِيلًا
وَتَمْتَدُّ، تَمْتَدُّ مِنْ بَسْمَةٍ فِي المَمَرَّاتِ حَتَّى مُصَاهَرَةِ
المُعْجِزَةْ
هٰكَذَا أَنْتِ، سَيِّدَةٌ فِي احْتِوَاءِ الكِتَابَةِ بِالنَّبْضِ
سَيِّدَةٌ فِي احْتِلَامِ المُغَنِّينَ
هَلْ أَجْرُؤُ الآنَ، بَعْدَ احْتِرَاقِي عَلَى كَتِفِ البَحْرِ،
أَنْ أَسْتَعِيرَ المَنَامَ وَلَوْ لَحْظَةً
هَلْ يَكُونُ الطَّرِيقُ إِلَى وَطَنِ القَمْحِ غَيْرَ الطَّرِيقِ إِلَيْكِ
تَأَنَّيْ، لِهٰذَا الكَلَامِ تَتِمَّتُهُ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةْ

4

يَحْلُو لِي أحْيَانًا أنْ أتَسَلَّى بِمُطَارَدَةِ الوَجْهِ المُتَسَلِّلِ
مِنْ مُمْتَلَكَاتِي اللَّيْلِيَّة
يَحْلُو لِي أنْ أعْتَبِرَ البَحْرَ صَدِيقِي
وَالزِّئْبَقَ بَعْضًا مِنْ أحْزَانِي الوَحْشِيَّة
يَا عُمْقَ المُنْعَطَفَاتِ امْنَحْنِي هَذَا الاِمْتِلاءَ الأكْثَرَ
شَجْوًا
كَابَدْتُ الحُزْنَ الثَّائِرَ مَا انْسَلَّتْ مِنِّي الشَّكْوَى
وَرَوَيْتُ عَنِ الزِّئْبَقِ مَا يُسْلِمُ لِلْقَطْعِ رُؤُوسَ العُشَّاقِ
فَتَوَّجَنِي سُلْطَانَ صَعَالِيكِ الوَطَنِ الرَّائِعِ فِي سُعْلَتِهِ
وَانْحَلَّ فِي جَسَدِي
مِثْلَ امْرَأَةٍ فَتَنْتُ هُمْ بِيَدِهَا وَاعْتَقَلَتْنِي.

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، حِينَ فَتَحْنَا بَابًا لِحَدِيثِ العَيْنِ
وَنَافِذَةً لِرَسَائِلَ لَمْ تُكْتَبْ
أوْرَقَ عُبَّادُ الشَّمْسِ عَلَى كَتِفِي

وَغَطَّتْنِي صَاحِبَتِي بِاللَّوْتِيسِ قَائِلَةً: هَذَا مَا أَمْلِكُهُ
قُلْتُ: اقْتَرِبِي مِنْكِ، وَهَيَّا نَقْتَسِمِ الْبَحْرَ مَعًا
كَمْ حَرَّكَ سَاقَيْهِ الزَّنْبَقُ نَحْوَ مَصَائِرِنَا
مَأْخُوذًا بِالْمُسَوَّدَاتِ إِذَا اتَّخَذَتْ شَكْلَ سَرِيرٍ
فَاكْتَشَفَ الْهَمَّ سَرِيرًا
وَاقْتَرِبِي مِنْ آنٍ يَأْلَفُ جِلْدُكِ وَشْمًا، وَحَرِيرًا

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، حِينَ فَتَحْنَا بَابًا لِعَوَالِمِ خَفِيٍّ
فَتَحَتْ صَاحِبَتِي مِعْطَفَهَا الْبُنِّيَّ، وَضَمَّتْنِي قَائِلَةً:
هَذَا مَا أَمْلِكُهُ
قُلْتُ: اعْتَصِمِي بَيْنَ يَدَيْ وَفِيٍّ بِضَرَاوَةِ هَذَا الْعِشْقِ
تَلَوَّى - مِثْلَ أَشَدِّ الرَّغَبَاتِ شُذُوذًا - عَبْرَ أَنَابِيبِي
وَتَعَالَيْ، سَيِّدَتِي، نَتَصَعْلَكْ
نَعْرَى، نَجُوعُ، وَنَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَمْلِكْ

تِلْكَ نُبُوءَاتِي، هَلْ يُنْهِضُ مِنْ آخَالِ الْبَحْرِ
وَهَذَا جَسَدِي
يَنْتَظِمُ الْآنَ صُفُوفًا كَيْ يَدْخُلَ صَوْتَهُ فِي خِلْقَةِ
طَاوُوسٍ
هَلْ أَعْبُرُ وَتَعْبُرُ فِيُونٌ عَنِّي جُزُرًا
لَمْ يَبْقَ إِذَنْ غَيْرُ الْإِنْشَادِ الْأَكْثَرِ شَيْئًا، لَمْ يَبْقَ
سِوَاكِ
انْتَشَرَ الْعُشَّاقُ عَلَانِيَةً، دَخَلُوا مَمْلَكَةَ الْأَلْوَانِ
وَلَمْ تَنْتَشِي إِلَّا تَحْتَ الْجَفْنَيْنِ
وَلَمْ تَخْتَارِي غَيْرَ الْقَهْوَةِ لَوْنًا
أَيَّتُهَا الْقَاسِيَةُ الْعَيْنَيْنِ، الْقَاتِلَةُ الْمَأْخُوذَةُ
بِالشَّيِّقِ مِنْ حَرَكَاتِ الْغُنْجِ الْمَنْذُورَةُ لِلْفَضَاءَاتِ
الْعُلْيَا
أَيَّتُهَا الْمَسْكُونَةُ لَيْلًا بِالشَّوْقِ، وَبِالصَّحِّ نَهَارًا
تِلْكَ نُبُوءَاتِي، فَتَعَالَيْ نَقْتَسِمِ الْبَحْرَ جِهَارًا

آثرنا الصمت، فلم يمنحنا الصمت تماما

5

الفتى، حين تجيئين تفلّت مني القصائد لابسة جسدي
يوم كانت طريقي من المطعم الجامعي إلى باب بوجلود
مسقوفة بالهواجس
أرفع نحوك عينين مثقلتين نصوصا، وأضحك:
هل من الرعب سواك نبتغه، واصطفاني حصانا
حديث المواجع في العين لم ينته فلما أوليسانا
الفتى، تدخل كل العصافير أعشاشها
تستكين إلى الشاي والدفء، حين يصير دمي قهوة
وتصير الكتابة أحلى على واجهات المقاهي
الفتى، أنسلّ من باب بوجلود
متّئدا من عيون الكواعب أنأى
في خطوتي يشمخ البحر

والوطن المكتوي بالبنايات يركبني
يتسرب إلى خطوة ليقرأ أوسع منها بسؤاله. انتظـ
ـرتك

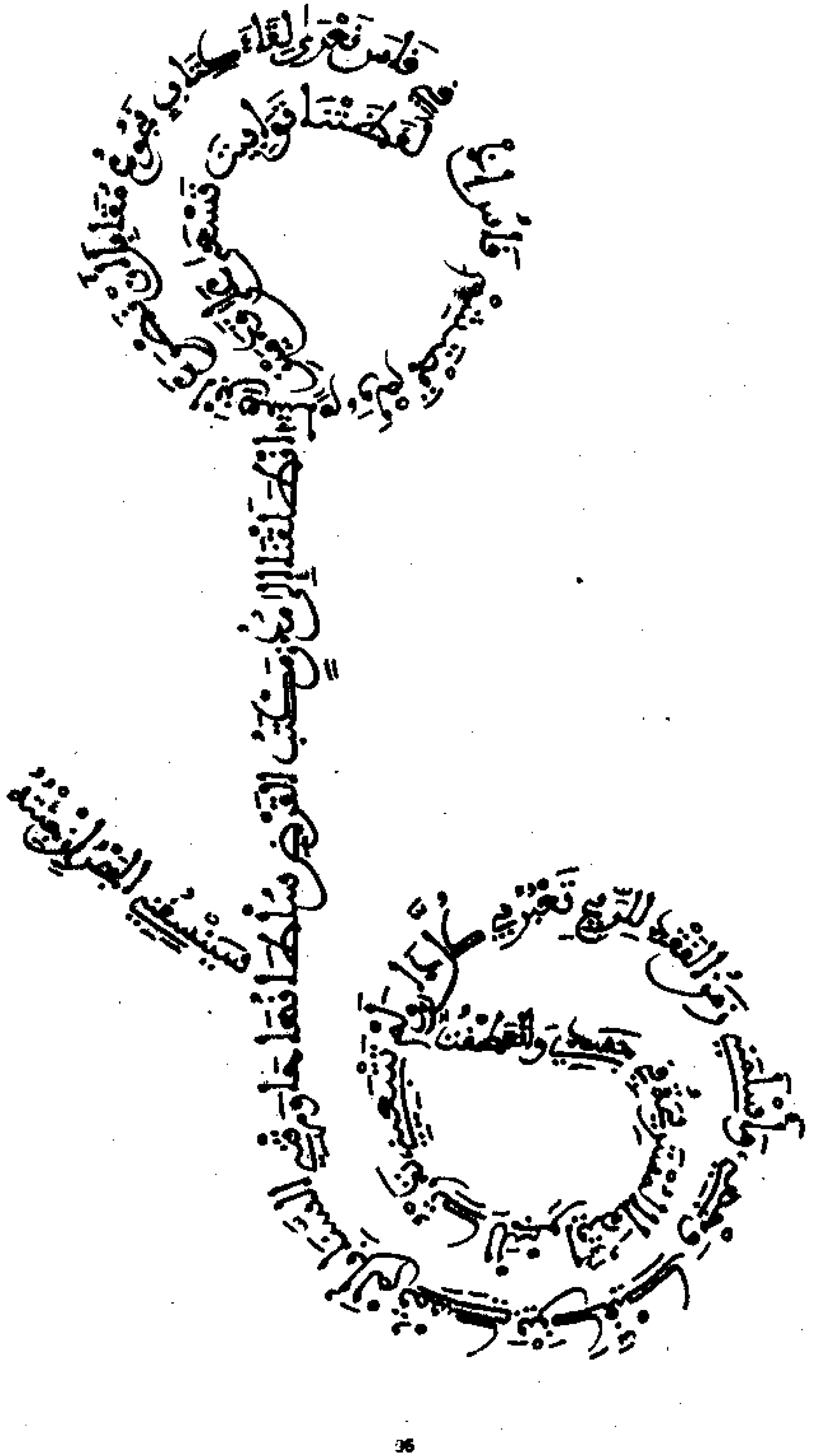

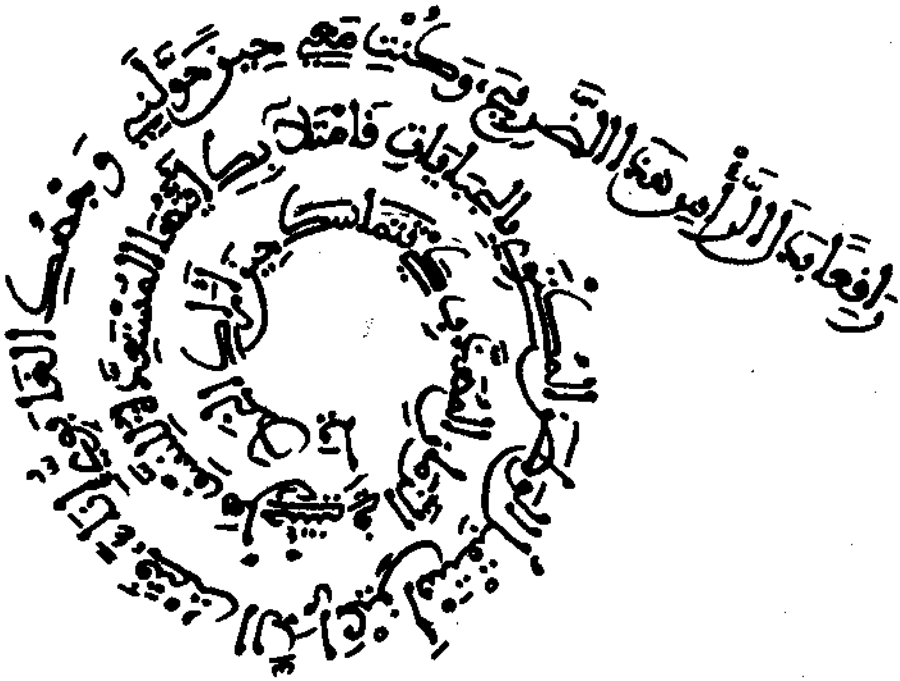

هُنَا المَوْتُ، كُلُّ الأَشْيَاءِ لَهُ وَجْهَانِ: التَّمَزُّقُ وَالمُعْضِلَةْ
هُنَا المَوْتُ، أَرْسُمُ حَوْلَ انْكِسَارِي سِيَاجًا
فَتَكْشِفُ عَنْ سِرِّهَا المَرْحَلَهْ
تُرَاوِدُنِي لَحْظَةٌ لَيْسَ أَجْمَلَ مِنْهَا سِوَاكِ
تُكَاشِفُنِي بِالرَّحِيلِ المُكَثَّفِ أَوْ تَسْتَضِيفُ احْتِرَاقِي
هَلِ البَحْرُ يَأْخُذُ مَجْرَاهُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِكِ
أَيَّتُهَا المُسْتَعِدَّةُ لِلْجُرْحِ مِثْلَ عُيُونِ الحَبِيبَاتِ
أَنْتِ البِدَايَةُ بِالعِشْقِ، وَالمُنْتَهَى بِامْتِشَاقِ النُّبُوءَاتِ
كَيْفَ إِذَنْ جِئْتِنِي
بَعْدَ أَنْ جُمِعَ البَدْءُ وَالمُنْتَهَى، لِيَكُونَ الوَقْفُ
صَدِيقَكِ تَوَسَّدِي فَاحْتَفِ.